مُصْعَب بن عُمَير

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

مطبعة الديواني - بغداد
هاتف : ٨٨٧٦١٩٧

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 20 /جمادى الأولى/ 1445 هـ
الموافق 22 / 11 / 2024 م

سرمد حاتم شكر السامرائـي

م. سرمد حاتم شكر



مصعب بن عمير

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

" صدق الله العظيم "

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم انبيائه محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

هذه صفحات متواضعة تعنى بالحديث عن فارس كريم من فرسان الاسلام، وجندي شجاع من جنود القرآن، وفتى اصيل من فتيان قريش، كان اول مبعوث من قبل النبي (ص)، واول مقرئٍ للقرآن، واول من جمّع جمعة في الاسلام.

وما اشد حاجة العرب خاصة، والمسلمين عامة ؛ في ظروفهم الحاضرة، وقد تكالبت عليهم قوى الجور والضلال والعدوان، فبطشت بهم في اكثر من مكان ، وهزمتْهم في اكثر من جولة وميدان ، ومازالت في نهم الى المزيد من الوقيعة بهم والتسلُّط عليهم وامتصاص ماحباهم الله تعالى به من نعم الارض وخيرات السماء.

أقول : ماأشدَّ حاجة هؤلاء اليوم ؛ وحاجة أجيالهم الناشئة بالخصوص ، الى وقفة ذكية فاحصة ، بل عودة متفتحة واعية ، الى دراسة التاريخ بعمق ، واستلهام التراث بتدبُّر ، والتفاعل مع الماضي المشرق بفهم وقدرة على الفرز والتمييز ، لتقتبس من كل ذلك مايعينها على صنع الغد المنتظر المنشود الذي لا يهدِّد أمنَه طامع ، ولايدنِّس ترابه معتدٍ أثيم ، ولايقف أمام زحفه الحضاري الخلاّق مُشرِّق أو مُغرِّب.

وليس من مجال لذلك الدرس والاستلهام والتفاعل افضل من معرفة سِيَر اولئك الرواد الافذاذ الذين آمنوا بالله فاطمأنت قلوبهم، وعاهدوا على الفداء فصدقوا في عهودهم، وبذلوا المهج الغالية والدماء الزكية تحت لواء محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ليجعلوا كلمة الله هي العليا، وراية القرآن هي الخفاقة، وصوت الاسلام هو الصوت المدوي في ارجاء الارض ؛ كل الارض.

وكان مصعب بن عمير - وهو محور الحديث في هذا الكتاب - احد هؤلاء الرجال الصناديد والابطال المساعير، ممن واكب المسيرة الاسلامية منذ خطواتها الاولى على الطريق، وجند نفسه لها في كل صعيد، وضحى في سبيلها بالغالي والنفيس، حتى ختم الله له بالسعادة، وكتب له الشهادة، فذهب الى ربه راضيا مرضيا، ينعم بخلود الحياة الحقيقي، مع الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن اولئك رفيقا.

وكل املي ان تكون هذه الصفحات قادرة على ايضاح الصورة المطلوبة، في التعريف بسيرة هذا الرجل المقدام، فيما بلغنا خبره من جوانب حياته، ومجالات جهده وجهاده، وفي ابراز مواقفه الثورية الشجاعة واعماله النضالية الفذة، في دعم رسالة الاسلام وحمايتها من كيد الكائدين وعدوان المعتدين.

والله المسؤول ان يتقبل ذلك بقبوله الحسن الجميل، وان يوفق للمزيد من هذه الدراسات المعنيَّة بأولئك المجاهدين المؤمنين الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه، انه تعالى نعم الموفق والمسدد والمعين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

محمد حسن آل ياسين

هو: مُصْعَب (الخير) بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي[(١)] بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدٍّ بن عدنان.

وأُمُّه: خناس بنت مالك المُطَرِّف (المُضَرِّب) بن وُهَيْب (وَهْب) بن عمرو بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر[(٢)]، احدى نساء بني مالك بن حِسل[(٣)]. وكانت ثرية مليئة كثيرة المال[(٤)].

وقبيلتُه: بنو عبد الدار، من كبريات قبائل قريش، وفي الطليعة من ذوات الشأن والمقام فيها، ولذلك اودعت اليها مهمة حمل لوائها في حروبها، وجعلت لها حجابة البيت الحرام[(٥)]، تقديرا وتكريما.

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٣٤٤و٣٤٧ و ٢ / ٣ - ٤ ونسب قريش: ٢٥٤ وطبقات ابن سعد: ١/ ق١ / ١٣٦ و ٣ / ق١ / ٨١ وتاريخ الطبري: ٢ / ٣٣٠.

(٢) نسب قريش: ٢٥٤ والمحبر: ٤٠٠ وطبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨١، وفي رواية ابن حبيب: «.. بن مضرب واسمه وهب بن عمرو» الخ.

(٣) سيرة ابن هشام: ٣ / ٠٦٦

(٤) طبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨٢.

(٥) المحبر: ١٦٧.

وُلد بمكة قبل البعثة النبوية بخمس وعشرين سنة تقريبا، وبعد عام الفيل بخمس عشرة من السنين. ولم نجد في المصادر نصا صريحا يحدد تاريخ الميلاد، ولكنه التقدير الذي يمكن استنباطه من قول المؤرخين انه استشهد وله من العمر اربعون سنة او يزيد قليلاً(٦).

وكان له من الالقاب: لقب (الخَير) الذي اشتهر به حتى اصبح جزءاً من اسمه، فلا يقال في التعريف به الا (مصعب الخير). ولم يتضح انه لُقِّب به منذ صباه واول نشأته، او اطلق عليه بعد اسلامه.

وكان له من الكنى كنيتان: ابو عبد الله(٧)، وابو محمد(٨).

* * *

نشأ وشبَّ في مكة المكرمة حيث بيته واسرته، ولكنه لم يذق من صعاب الحياة وحرمانها ماذاق غيره من فتيان قريش وولدان الحجاز، بل لم يعرف منذ نعومة اظفاره سوى العيش الفاره والرخاء المترف والبذخ الذي لايعرف القيود، وقد اوتي من حب ابويه ورعايتهما، وثرائهما وسخائهما عليه، ماجعل منه مضرب المثل ومطمح النظر. وهو - الى ذلك - على جانب عظيم من الجمال والرقة وغضوضة الاهاب ووسامة الشباب، وفي الصميم من قريش مجداً وعلاءً اذا جُليت الانساب ونشرت الاحساب، فكان - حقا - كما وصفه مترجموه:

---

(٦) طبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨٦ وانساب الاشراف: ١ / ٢٠٣ والاستيعاب: ٣ / ٤٤٩ والتبيين: ٢١٣ واسد الغابة: ٤ / ٣٦٩.

(٧) الاستيعاب: ٣ / ٤٤٨ والتبيين: ٢١٣ واسد الغابة: ٤ / ٣٦٨.

(٨) طبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨١ وانساب الاشراف: ١ / ٢٠٣.

«فتى مكة شباباً وجمالاً وسيبا»(٩)، «رقيق البشرة، حسن اللمه، ليس بالطويل ولا القصير»(١٠)، يكتسي احسن الثياب وارقّها، ويلبس الحضرميَّ من النعال(١١)، ويتغذى بأطايب الطعام والشراب(١٢)، ويتعاهد شعر رأسه تصفيفاً وترجيلاً(١٣)، ويتعطر بأغلى انواع الطيب واجودها حتى قيل فيه: «كان أعطر أهل مكة»(١٤).

ولقد اجمل رسول الله (ص) الحديث عن هذه النشأة المترفة في فقرةٍ من فقره البليغة يذكر فيها مصعباً وما تحمله في سبيل الاسلام، فقال:

«مارأيتُ بمكة احداً احسن لمَّةً ولاأرقَّ حلَّةً ولا انعم نعمةً من مصعب بن عمير»(١٥).

هكذا كانت نشأة مصعب وحياته في ظلال ابويه: «أنعَم غلام بمكة»(١٦)، و «مابمكة فتىً من قريش أنعَم عند ابويه نعيماً منه»(١٧)، فكان – بذلك – مثالاً فريداً بين الاخدان والاقران، يُزلق بالابصار حسداً وغبطة، ويشار اليه بالبنان اعجاباً وغيظاً.

---

(٩) طبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨٢ والاستيعاب: ٣ / ٤٥٠ والتبيين: ٢١٣ واسد الغابة: ٤ / ٣٦٩.

(١٠) طبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨٦.

(١١) طبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨٢.

(١٢) حلية الأولياء: ١ / ١٠٨.

(١٣) طبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨٦ وانساب الاشراف: ١ / ٣٣٦.

(١٤) طبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨٢.

(١٥) طبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨٢ وانساب الاشراف: ١ / ٣٣٦ والاستيعاب: ٣ / ٤٥٠ والتبيين: ٢١٣ واسد الغابة: ٤ / ٣٧٠ وشرح نهج البلاغة: ١٥ / ٣٩.

(١٦) اسد الغابة: ٤ / ٣٦٩، واللفظ مرويٌ عن سعد بن ابي وقاص.

(١٧) طبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨٢، واللفظ نص حديث نبوي شريف.

وبلغت سمع هذا الفتى الغض المترف الانيق، تلك الصرخة الكبرى التي هزت مكة فعجَّت بها المجالس والمحافل، وضجت بأصدائها كل الندوات والخلوات، ونعني بها صرخة محمدٍ (ص) وهو يصدع برسالته الخالدة رسالة التوحيد والمحبة والعدل، ويعلن حربه على الظلم والاثر وعبادة الاوثان والفساد في الارض، ويدعو الناس الى الخروج من الظلمات الى النور، واتِّباع دين الله القويم وصراطه المستقيم.

لقد سمع مصعب نبأ هذه الصرخة المثيرة، فلم يشغله نغيمه وشبابه - وهو لم يبلغ الثلاثين بعد - عن العناية بها والاصاخة اليها، فهفت نفسه الى استكشاف جلية الامر ومعرفة التفاصيل، رغبة في الوقوف على الحقيقة.

وعلم - بعد استخبارٍ وبحث وطول فحص - ان رسول الله (ص مستخفٍ في دار الارقم بن ابي الارقم - وكان ذلك في بداية البعثة الشريفة -، فاستطاع ان يصل اليه ويحظى بلقائه هناك، وأن يسمع منه مايريد سماعه، ويستعلم عما يودُّ علمه، فسارع الى الايمان والتصديق وتشهد الشهادتين، ووعى اسس الرسالة واهدافها وعياً اخذ بمجامع قلبه ولبِّه.

وخرج من دار الارقم مسلما صادق النية ثابت اليقين، غير أن ظروفه العائلية الخاصة لم تسمح له بالجهر والاعلان، «فكتم اسلامه خوفا من أُمِّه وقومه»، ولكنه لم يقطع صلته بالنبي (ص) وتردُّدَه عليه

حيث يقيم، «فكان يختلف الى رسول الله (ص) سراً» يسمع منه القرآن، ويتعلَّم قواعد الشريعة، ويتفقه في الدين، ويزداد على مَرّ الايام ثباتا واصرارا.

ويفاجَأ مصعب في احد الايام - وهو قائم يصلي - بدخول احد كبار اسرته عليه، وهو عثمان بن ابي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، فلما رآه في صلاته ذهب الى امه وقومه فاخبرهم بذلك، فلم يكن منهم من رد فعل بازاء ذلك الا ان ياخذوه فيضيقوا عليه ويحبسوه عن الذهاب الى محمد (ص) ويمنعوه من اداء شعائر الاسلام[1].

ومرت الايام، والضغط القرشي على محمد (ص) واصحابه في تصاعد مستمر، حتى تجاوز حدود التحمل والطاقة.

«ولما رأى رسول الله (ص) مايصيب اصحابه من البلاء... وانه لايقدر على ان يمنعهم مما هم فيه... قال لهم: لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يُظلَم عنده احد... حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه.

«فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب رسول الله (ص) الى ارض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً الى الله بدينهم، فكانت اول هجرة في الاسلام.

«وكان من اوائل المهاجرين من المسلمين: مصعب بن عمير»[2].

ووصل مصعب الى الحبشة فاراً بدينه، فبقي هناك حيناً من الدهر، بعيدا عن اهله واترابه، نائيا عن بلده وملاعب صباه، محروماً من كل ما

---

(١) يراجع في بدء اسلام مصعب: طبقات ابن سعد: ٣ / ق١ / ٨٢ والاستيعاب: ٣ ٤٥٠ والتبيين: ٢١٣ - ٢١٤ واسد الغابة: ٤ / ٣٦٩ والاصابة: ٣ / ٤٠١.

(٢) سيرة ابن هشام: ١ / ٣٤٤ / ٣٤٧ - والالفاظ منها - وطبقات ابن سعد: ١ / ق١ ١٣٦ وتاريخ الطبري: ٢ / ٣٣٠ والاستيعاب: ٣ / ٤٤٨ والتبيين: ٢١٣.

كان يتمتع به من الوان النعمة والثراء وسعة العيش. وعانى في مهجره ذاك من شظف العيش وجشوبة المأكل وخشونة الملبس وصعوبة الحياة مالايعلمه الا الله، ولكنه كان يستقبل ذلك كله بقلب هادىء صبور ونفس راضية مطمئنة، فلم تُؤثِّرْ عنه – رغم كل الالام – كلمة تضجُّر وأَنّةُ توجع ، او أيّ تصرف يدل على الضيق والبرم بما هو فيه، بل كان – على العكس من ذلك – من اوسع اولئك المهاجرين صدراً، واسمحهم خلقاً واكثرهم تحملاً، وابعدهم عن العصبية والمشاكسة والانفعال الغاضب، وقد وصفه احد رفاقه في هذه الغربة فقال: «لم أرَ رجلاً قط كان احسن خلقاً ؛ ولا اقل خلافاً منه»[٣].

* * *

وبقي المسلمون في الحبشة – رغم طول المدة – يعدون الأيام ويحسبون الساعات ، وكلهم تطُّلع الى معرفة مايقع في مكة عامةً ؛ والى ماآلت اليه حال النبي (ص) واصحابه خاصة .

وكانت تصلهم هذه الأخبار مستمرة متوالية ، يحملها التجار والمسافرون والعاملون في المراكب المبحرة بين البلدين ، ولكنها لم تكن – في مجموعها – صادقة المحتوى وموثوقة السند ، بل فيها النبأ الصحيح والآخر الكاذب والثالث المبالَغ فيه .

وتلقّى اولئك الغرباء ذات يوم – فيما يتلقون من الأنباء – بشرى هزَّتهم من الأعماق هزّاً وملأتهم فرحاً وأُنساً ، فقد ورد المسافرون يحملون خبر إسلام أهل مكة وأدائهم للصلاة ، وأكَّد أحدهم انه شاهدهم ساجدين مع النبي (ص) في المسجد الحرام . فكان لهذا النبأ من أصداء

(٣) طبقات ابن سعد: ٣ / ق ١ / ٨٢.

السرور والبهجة ، والحبور والفرحة ، مايفوق التصور ويسمو على الوصف ، لما يعنيه ذلك لديهم – فيما يعني – ان الاسلام قد تجاوز مرحلته الاولى بتراجع مناوئيه وخضوعهم له ؛ وانه سيتخذ سبيله نحو ارجاء الجزيرة العربية باندفاع فعّال لاتحده – بعد اليوم – ماكانت تضع قريش في طريق انطلاقه من قيود وسدود ، ولما يعنيه ايضا – فيما يعني – ان المهاجرين المشرَّدين سيعودون الى بلدهم وأهليهم آمنين مطمئنين ؛ وان ساعة التخلص من عذاب الغربة وآلامها المريرة قد حانت وآن أوانها السعيد .

وظلُّوا – وهم في غمرة الفرح والابتهاج – على احرَّ من الجمر في انتظار مايصلهم من النبي (ص) نفسه في هذا الحدث الكبير الخطير ..

ولكنَّ أفراداً منهم لم يطيقوا الصبر والانتظار – ريثما يصل الإخبار النبوي المرتقب – ، فخرجوا من الحبشة متوجهين الى مكة ، «حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان ماكانوا تحدثوا به من اسلام اهل مكة كان باطلاً» وان العنف والارهاب الذي كان يمارسه المشركون ضدَّ المسلمين مازال على حاله الاولى ، وان الخطر يتهدَّد حياة هؤلاء القادمين إنْ عرفت قريش أمرهم ، «فلم يدخل منهم أحدٌ الاّ بجوارٍ أو مستخفياً» (٤) .

وكان من جملة هؤلاء القادمين : مصعب بن عمير . (٥)

وعندما انتهى مصعب الى مكة لم يجد بدّاً – فراراً من الأذى والخطر المحدق – من الدخول «بجوار النضر بن الحارث بن كلدة ، ويقال : بجوار ابي عزيز بن عمير ؛ أخيه» (٦) .

---

(٤) سيرة ابن هشام : ٢ / ٣ .
(٥) سيرة ابن هشام : ٢ / ٣ – ٤ .
(٦) أنساب الأشراف : ١ / ٢٢٧ .

وكان أبرز ما أثار الانتباه ولفت الأنظار في مصعب – بعد عودته من غربته – انه «رجع متغيِّر الحال .... قد غلُظ»[٧] وخشُن ، فلم يبق من معالم ذلك الترف والنعيم عين أو أثر ، بل ارتسمت على قسماته – بدلاً منه – ملامح الجهد والارهاق ، ونفحت من جسده المكدود روائح العرق والنَّصَب والفراق الممضّ .

وانقلب كل شيءٍ في حياة هذا الفتى فصار شيئاً آخر .

واتَّجه كلُّ هوى نفسه اليوم ؛ وكلُّ نبضات قلبه ومشاعر لذته وعزمات بأسه وآمال عمره ، نحو الرسالة الجديدة وضرورة حياطتها والعمل على انتشارها وانتصارها واندحار اعدائها .

وأمّا ماعدا ذلك فهو – عنده – تافه لايؤبه به وحقير لايستحق الاهتمام .

* * *

ومكث مصعب في مكة بعد عودته من الحبشة ردحاً غير قليل من الزمن .

ولم نعلم من أخباره خلال هذه المدة الاّ زواجه[٨] من تلك المرأة المؤمنة الصالحة «حمنة بنت جحش بن رئاب (رباب) بن يعمر بن

---

(٧) طبقات ابن سعد : ٣/ق ١/٨٢ .

(٨) لم يحدد المؤرخون تاريخ زواج مصعب ، ولكننا استنبطنا من القرائن المتوفرة وقوعه في هذه الحقبة – اي فيما بين السنة السادسة والثانية عشرة من البعثة الشريفة – ، ولعل من أوضح تلك القرائن أنه هاجر الى الحبشة مفرداً ليست معه زوجة ، وأن حمنةَ زوجته قد ذكرت «يتم ولده» لما بلغها استشهاده ، مما يشعر بصغر عمر ابنته يومذاك .

صبرة بن مُرَّة بن كبير (كثير) بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة[٩]» ، أُخت زينب بنت جحش أُم المؤمنين[١٠] ، وأُمُّها أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف[١١] . وكانت حمنة من النساء الصادقات والمهاجرات ، وقد شهدت معركة أُحد فكانت تسقي العطشى وتداوي الجرحى[١٢] .

وولدت حمنة من مصعب بنتاً واحدة سمّاها زينباً ، وقد ذكرها بعضهم في عداد الصحابة[١٣] ، وتزوَّجها عبد الله بن عبد الله بن ابي امية بن المغيرة فولدتْ له[١٤] ، وعاشت زينب بعد النبي (ص) دهراً[١٥] .

ويبدو أن الرابطة الزوجية بين هذين الزوجين كانت من أوثق الروابط الزوجية وامتنها ، فقد روى الرواة : أنَّ النبي (ص) قال لحمنة بعد انتهاء معركة أُحدٍ وهو يريد إخبارها بما أصاب أحبّاءها :

«ياحمنة احتسبي اخاك عبد الله بن جحش ، قالت : إنّا لله وإنّا اليه راجعون ، رحمه الله وغفر له . ثم قال : ياحمنة احتسبي خالك حمزة بن عبد المطلب ، قالت : إنّا للهوإنّا اليه راجعون ، رحمه الله

---

(٩) طبقات ابن سعد : ٣ / ق ١ / ٨١ و ٨ / ١٧٥ .

(١٠) نسب قريش : ٢٥٤ والمحبَّر : ١٠٣ والاستيعاب : ٤ / ٢٦٢ واسد الغابة : ٥ / ٤٢٨ والاصابة : ٤ / ٢٦٦ .

(١١) طبقات ابن سعد : ٨ / ١٧٥ .

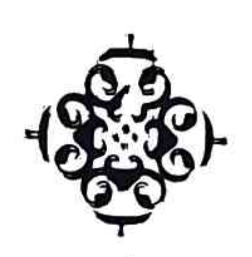
(١٢) طبقات ابن سعد : ٨ / ١٧٥ واسد الغابة : ٥ /٤٢٨ وشرح نهج البلاغة : ١٥ / ٣٦ والاصابة : ٤ / ٢٦٦ .

(١٣) اسد الغابة : ٥ / ٤٧٠ والاصابة : ٤ / ٣١٢ .

(١٤) نسب قريش : ٢٥٤ وأنساب الأشراف : ١ / ٤٣٧ والمحبر : ١٠٣ وجمهرة أنساب العرب : ١٢٦ واسد الغابة : ٤ / ٣٧٠ .

(١٥) الاصابة : ٤ / ٣١٢ .

وغفر له . ثم قال:ياحمنة احتسبي زوجك مصعب بن عمير ، **فقالت** : ياحَرَباه . فقال النبي (ص): «إنَّ للرَّجُلِ لَشُعْبَةً من المرأة»[١٦] ، **وفي** لفظ ابن اسحاق : «فقال رسول الله (ص) : ان زوج المرأة منها لَبِمَكانٍ»[١٧] . «وقال لها النبي (ص) : كيف قلتِ على مصعب مالم تقولي على غيره ؟ قالت : يارسول الله ، ذكرتُ يتم وَلَدِه»[١٨] .



(١٦) طبقات ابن سعد : ٨ / ١٧٥ .

(١٧) سيرة ابن هشام : ٣ / ١٠٤ وتاريخ الطبري : ٢ / ٥٣٢ .

(١٨) طبقات ابن سعد : ٨ / ١٧٥ وشرح نهج البلاغة : ١٥ / ١٨ .

ومرّت الأيام .

وكان من ديدن النبي (ص) أن يحضر المواسم التي تجتمع فيها العرب بمكة ، فيتصل بالقبائل القادمة اليها ؛ «يدعوهم الى الله ، ويخبرهم انه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعوه حتى يبيّن لهم مابعثه الله به»[(١)] .

وبينما هو عند العقبة في موسم من هذه المواسم «لقي رهطاً من الخزرج .... فدعاهم الى الله عز وجل ، وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ..... فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدّقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الاسلام .... ثم انصرفوا عن رسول الله (ص) راجعين الى بلادهم ، وقد آمنوا وصدّقوا»[(٢)] .

«حتى اذا كان العام المقبل ؛ وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوه بالعقبة – وهي العقبة الأولى – فبايعوا رسول الله (ص)»[(٣)] .

و«لما انصرف أهل العقبة الاولى الاثنا عشر ، وفشا الاسلامُ في دور الأنصار ، ارسلتِ الأنصارُ رجلاً الى رسول الله (ص) وكتبتْ اليه كتاباً : ابعث الينا رجلاً يفقّهنا في الدين ويقرئنا القرآن . فبعث اليهم

---

(١) سيرة ابن هشام : ٢ / ٦٤ .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢ / ٧٠ – ٧١ .

(٣) سيرة ابن هشام : ٢ / ٧٣ .

رسول الله (ص) مصعب بن عمير»[٤] ، «وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلِّمهم الاسلام ويفقِّههم في الدِّين»[٥] .

وهكذا أصبح مصعب أول ممثّل أو سفير لرسول الله (ص) في تاريخ الرسالة المقدَّسة.

وهكذا أصبح - أيضاً - أول مقريٍ للقرآن في الاسلام ، ولذلك لقبته المصادر التأريخية بـ «المُقْرئ»[٦] .

ووصل مصعب الى المدينة حاملاً مهمته الكبرى ومسؤوليته الخطيرة ، ونزل في اول قدومه على اسعد بن زرارة[٧] سيد الانصار ومن اوائل المبايعين للنبي (ص) في مكة ، ثم انتقل الى دار سعد بن معاذ حين أسلم[٨] فبقي فيها ضيفه طوال ايامه الباقية في المدينة .

وقام مصعب بأداء ماحُمِّل افضل قيام ، فدعا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبذل كل وسعه ومنتهى جهده في حث الناس على التصديق بالرسالة والرسول ، «وكان يأتي الانصارَ في دورهم وقبائلهم فيدعوهم الى الاسلام ، ويقرأ عليهم القران . فيسلم الرجل والرجلان ، حتى ظهر الاسلام وفشا في دور الانصار كلها

---

(٤) طبقات ابن سعد : ١ / ق ١ / ١٤٨ و ٣ / ق ١ / ٨٣ و ٣ / ق ٢ / ٢ و ١٣٦ وأنساب الأشراف : ١ / ٢٣٩ .

(٥) سيرة ابن هشام : ٢ / ٧٦ ونسب قريش : ٢٥٤ وتاريخ الطبري : ٢ / ٣٥٧ والتبيين : ٢١٣ واسد الغابة : ٤ / ٣٦٩ .

(٦) سيرة ابن هشام : ٢ / ٧٦ ونسب قريش : ٢٥٤ وتاريخ الطبري : ٢ / ٣٥٧ .

(٧) سيرة ابن هشام : ٧٦/٢ وطبقات ابن سعد : ٣/ق٨٣/١ وتاريخ الطبري : ٣٥٧/٢ والتبيين : ٢١٣ .

(٨) طبقات ابن سعد : ٣/ق ٢/٢ و ١٣٦ .

والعوالي»[٩] ، و «كان يصلي بهم»[١٠] ويقيم بنفسه العبادات الاسلامية ليتعلم منه الباقون .

و «كتب الى رسول الله (ص) يستأذنه أن يجمِّع بهم (اي يصلي الجمعةَ) فأذن له ... فجمع بهم ... في دار سعد بن خيثمة – وهم اثنا عشر رجلاً – » ، فكان «اول من جمَّع في الاسلام جمعة»[١١] .

و «اسلم على يده خلق كثير»[١٢] ، عرفنا منهم : الزعيمين سعد بن معاذ وأُسَيْد بن الحُضَير[١٣] ، وعباد بن بشر الانصاري[١٤] ، ومحمد بن مسلمة الانصاري[١٥] .

* * *

و «خرج مصعب بن عمير من المدينة ، مع السبعين الذين وافوا رسولِ الله (ص) في العقبة الثانية ، من حاجٍّ الاوس والخزرج ... فقدم مكة ، فجاء منزل رسول الله (ص) اولاً ولم يقرب منزله ، فجعل يُخبر رسولَ الله (ص) عن الانصار وإسراعهم الى الاسلام واستبطائهم

---

(٩)طبقات ابن سعد : ٣/ق ٨٣/١ ، و ١/ق ١٤٨/١ وانساب الاشراف : ٢٣٩/١ .

(١٠) سيرة ابن هشام : ٧٧/٢ وطبقات ابن سعد : ٣/ق ١٤٠/٢ واسد الغابة : ٣٦٩/٤ .

(١١) طبقات ابن سعد : ٣/ق ٨٣/١ ، و ١/ق ١٤٨/١ وانساب الاشراف : ٢٣٩/١ والاستيعاب : ٤٤٨/٣ والتبيين : ٢١٣ واسد الغابة : ٣٦٩/٤ .

(١٢)نسب قريش : ٢٥٤ والتبيين : ٢١٣ .

(١٣) سيرة ابن هشام : ٧٨/٢ – ٨٠ وطبقات ابن سعد : ٣/ق ٢/٢ و ١٣٦ وتاريخ الطبري : ٣٥٧/٢ – ٣٥٩ والتبيين : ٢١٣ .

(١٤) طبقات ابن سعد : ٣/ق ١٦/٢ .

(١٥)طبقات ابن سعد : ٣/ق ١٩/٢ .

(قدوم) رسول الله (ص) . فَسُرَّ رسول الله (ص) بكل ماأخْبَرَه»[١٦] .

وتمت على اثر ذلك بيعة العقبة الثانية ، وانتخب المبايعون نقباءهم الاثنى عشر بمحضر رسول الله (ص) ، واصبحت المدينة المنورة – بعد اسلام غالب اهلها واستعدادهم للبذل والفداء – مؤهَّلةً لاستقبال النبي (ص) واصحابه ؛ وحياطتهم من الاذى ؛ وحمايتهم من كل مكروه .

ورجع الانصار بعد البيعة الى بلدهم ليعدوا العدة للمستقبل الكبير .

وبقي مصعب في مكة ينتظر إذنَ النبي (ص) بالعودة الى المدينة للاستمرار في اداء مهمته .

وعلمت ام مصعب – في خلال ذلك – بخبر قدوم ابنها مكة ، «فأرسلت اليه : ياعاق اتقدم بلداً انا فيه ولاتبدأ بي؟ فقال : ماكنت لأبْدأ بأحدٍ قبل رسول الله (ص) .

«فلما سلم على رسول الله (ص) واخبره بما اخبره ، ذهب الى امه ، فقالت : انك لعلى ماأنت عليه من الصبأة بعدُ؟ .

قال : انا على دين رسول الله (ص) ، وهو الاسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله .

قالت : ماشكرتَ ماربيتك ، مرةً بأرض الحبشة ومرةً بيثرب .

فقال : أفرُّ بديني ان تفتنوني .

فأرادت حبسه . فقال : لئن انتِ حبستِني لاحرصنَّ على قتل من يتعرض لي .

---

(١٦) طبقات ابن سعد : ٣/ق ١/٨٤ ، وسيرة ابن هشام : ٨١/٢ وتاريخ الطبري ٣٦٠/٢ .

قالت : فاذهب لشأنك . وجعلت تبكي .

فقال مصعب : ياأُمَّه ؛ اني لك ناصح وعليك شفيق ، فاشهدي انه لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله .

قالت : والثواقب ؛ لاادخل في دينك ... ولكني ادعك ومااانت عليه ، واقيم على ديني» (١٧) .



(١٧) طبقات ابن سعد : ٣/ق ٨٤/١ .

بقي مصعب في مكة ينتظر الاذن – كما اسلفنا – وامتدت مدة بقائه الى عدة شهور.

ولما اذن الله تعالى لرسوله (ص) بالهجرة الى المدينة، امر اصحابه بالخروج اليها «واللحوق باخوانهم من الانصار، وقال: ان الله عز وجل قد جعل لكم اخواناً وداراً تأمنون بها. فخرجوا ارسالاً»[1] اي جماعة في اثر جماعة.

وكان مصعب بن عمير اول القادمين الى المدينة من المهاجرين[2]، وقدمها «قبل مقدم رسول الله (ص) باثنتي عشرة ليلة»[3]. ونزل منذ مقدمه على سعد بن معاذ[4].

ثم قدم رسول الله (ص) بعد ذلك، فاجتمع شمل المسلمين هناك، وشعروا بشيء من القوة والامان والاطمئنان، وبدأوا – جميعاً – عملهم الدؤوب لاقامة كيانهم المتميز المنشود.

وكان من اول مساعي النبي (ص) نحو تأمين السلامة لهذا المجتمع الجديد ؛ هو بناء وحدته الراسخة وتآخي ابنائه الصادق في الله وفي

---

(١) سيرة ابن هشام: ١١١/٢.

(٢) انساب الاشراف: ٢٥٧/١ والاستيعاب: ٤٤٨/٣ وسير اعلام النبلاء: ٢٦١/١ والاصابة: ٤٠٢/٣.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ق ٨٤/١.

(٤) سيرة ابن هشام: ١٢٣/٢ وطبقات ابن سعد: ٣/ق ٨٣/١.

الدين ، فآخى – اولاً – بين المهاجرين بعضهم لبعض ، وآخى – ثانياً – بينهم وبين الانصار ، وقد اكد ذلك وشدد عليه حتى ظنوا انهم سيتوارثون في ضوئه ؛ لولانزول آية الميراث .

وكان من امثلة هذا المسعى انه (ص) آخى بين مصعب وسعد بن ابي وقاص – إخاء المهاجرين فيما بينهم – ، وبين مصعب وابي ايوب الانصاري – إخاء المهاجرين والانصار – .(٥)

ولكن هذه المؤاخاة – وان ضمنت شيئاً من الحد الادنى لضروريات الحياة – لم تكفل السداد الكامل والوفاء التام بالحاجات الاساسية للافراد ؛وبخاصة المعيلين منهم ، فأصاب مصعباً في مهجره من العوز والفقر والفاقة مالايتحمله الا الاوحد من الناس ، ولكنه لم يجزع ولم يتأفف ولم ينفد صبره ؛ وهو يرى حالته البائسة التي عليها وحالة زوجته وابنته ، بل استقبل ذلك كله بالرضا التام والتسليم المطلق والاحتساب الواعي ، لانه في سبيل الله وفي سبيل الاسلام .

ولانريد ان نطيل في بيان ما ابتُلي به ربيب الترف والنعمة والرخاء من الشظف والعسر والحرمان ، بل نكتفي بايراد بضعة نصوص في هذا الشأن ؛ هي اصدق قيلاً واكثر قدرة على اجلاء هذه الحقيقة من اي شرح وتفصيل :

١- جاء في الحديث النبوي الشريف :

ان مصعباً اقبل ذات يوم «والنبي – ص – جالس في اصحابه وعلى مصعب قطعة نمرةٍ قد وصلها باهابٍ قد ردَّنه ثم وصله اليها ، فلما رآه اصحاب النبي – ص – نكسوا رؤوسهم رحمةً له ، ليس عندهم

---

(٥) سيرة ابن هشام : ١٥٢/٢ وطبقات ابن سعد : ٣/ق ٨٤/١ و ٩٩ و ٣/ق ٤٩/٢ وانساب الاشراف : ٢٧٠/١ .

مايغيِّرون عنه ، فسلم فردَّ عليه النبي (ص) واحسن عليه الثناء وقال :

«الحمد لله ، ليَقْلِب الدنيا بأهلها ، لقد رأيتُ هذا – يعني مصعباً – وما بمكة فتىً من قريش أنعم عند ابويه نعيماً منه ، ثم اخرجه من ذلك الرغبة في الخير في حب الله ورسوله»[٦] .

٢ – وفي الحديث النبوي ايضاً :

«نظر النبي – ص – الى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه اهاب كبشٍ قد تنطَّق به ، فقال النبي – ص – :

«انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه ، لقد رأيتُه بين ابوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ، فدعاه حب الله ورسوله الى ماترون»[٧] .

٣ – وفي حديث علي (ع) قال :

«انا لجلوس مع رسول الله – ص – في المسجد اذ طلع علينا مصعب بن عمير ، وما عليه الا بردة له مرقوعة بفروة ، فلما رآه رسول الله – ص – بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم»[٨] .

٤ – وفي خبر طويل عن سعد بن مالك قال :

«فأما مصعب بن عمير فانه كان اترف غلام بمكة بين ابويه ، فلما اصابه ما اصابنا لم يقو على ذلك ، فلقد رأيته وان جلده ليتطاير عنه تطاير جلد الحية ، ولقد رأيته ينقطع به فما يستطيع ان يمشي ؛ فنعرض له القسي ثم نحمله على عواتقنا»[٩] .

---

(٦) طبقات ابن سعد : ٣/ق ٨٢/١ .

(٧) حلية الاولياء : ١٠٨/١ .

(٨) اسد الغابة : ٣٧٠/٤ وسير اعلام النبلاء : ١٠٣/١ والاصابة : ٤٠٢/٣ .

(٩) سير اعلام النبلاء : ١٠٣/١ .

٥ – وفي رواية عن سعد بن ابي وقاص قال :

«كان مصعب بن عمير انعم غلام بمكة واجود حلة ؛ مع ابويه . ثم لقد رأيته جُهِد في الاسلام جهداً شديداً ، حتى لقد رأيت جلده يتحسف (اي يتمعط ويتطاير) كما يتحسف جلد الحية»[١٠] .



(١٠) الفائق : ٣٧٩/٢ واسد الغابة : ٣٦٩/٤ والعباب : (حسف) .

ودخلت المسيرة الاسلامية – بعد الهجرة النبوية الى المدينة – مرحلة جديدة من مراحل تاريخها النضالي المقدس ، تلك هي مرحلة الحرب والجهاد بالسيف .

ولم يجد هذا المسلم المتحمس الذي لم يكن يعرف الوغى ولم يمارس القتال ايام شبابه ونعمته ؛ في طبول الحرب وضجيجها الصاخب ؛ الا النغم الجميل الممتع ، واللحن الملذ المطرب . فامتطى الصهوات ، واقتحم المخاطر ، وخاض المعارك الضارية ، ولاهمَّ له الا نصر الاسلام واعلاء كلمة التوحيد .

وكانت معركة بدر الكبرى اولى التجارب التي شارك فيها مصعب مشاركة جادة مشرِّفة ، فنهض بالامر نهضة الرجال ، واستبسل في مقاتلة اعداء الله – ومنهم بعض اهله واخص خاصته – استبسال الابطال ، وتحمل بشجاعة واقتدار تلك المسؤولية الصعبة ؛ مسؤولية حمل اللواء الاعظم ، بكل مايعنيه اللواء في الجيش من رمزٍ مادي خطير ؛ وشأن معنوي كبير .

وكانت للنبي (ص) في بدرٍ – كما روى المؤرخون – ثلاث رايات :
الراية الكبرى ، وهي بيد مصعب بن عمير[(١)] .
وراية المهاجرين ، وهي بيد علي بن ابي طالب[(٢)] .
وراية الانصار ، وهي بيد سعد بن معاذ او سعد بن عبادة[(٣)] .

---

(١) سيرة ابن هشام : ٢٦٤/٢ وطبقات ابن سعد : ٣/ق ١/٨ و ٣/ق ٨٥/١ وانساب الاشراف : ٥٣/١ و ٢٩٣ والاستيعاب : ٤٥١/٣ والتبيين : ٢١٣ وشرح نهج البلاغة : ١٢٠/١٤ .

(٢) و (٣) سيرة ابن هشام : ٢٦٤/٢ وتاريخ الطبري : ٤٣١/٢ .

ولم يكن اختيار مصعب – دون غيره من المهاجرين والانصار – لهذه المهمة الحساسة والخطيرة ؛ وفي هذه المعركة الاولى والكبرى في تاريخ الاسلام ؛ عملاً عشوائياً لا يمكن تعليله ، او لغزاً محيراً يعسر حله ، بل انه يرجع فيما نظن الى علم النبي (ص) :

أولاً – بما يتمتع به هذا الرجل من كفاية فائقة واهلية تامة ؛ عمل في تكوينها وصقلها عزم صلب ودين راسخ واخلاص صادق وايمان عميق .

وثانياً – ان بني عبد الدار – اسرة مصعب – هم حملة راية قريش في كل وقائعها وحروبها[٤] ، بل يعدون ذلك من ابرز امجادهم واسمى مفاخرهم ، فلم يرد النبي (ص) حرمان مصعب من هذا الشرف العبدري الموروث .

وثالثاً واخيراً – رغبة النبي (ص) في ان تكون الواجهة العسكرية امام قريش قرشية ايضاً ، لحماً ودماً ، وشكلاً ومظهراً ، لما في ذلك من التأثير النفسي والمعنوي العميق ؛ في مجتمع قبلي متغطرس شديد التعصب ؛ كمجتمع مكة يومذاك .

وقام مصعب بمهمته خير قيام وافضله ، واعطى اللواء الاعظم حقه من السمو والرفعة والعلاء ، «فقتل الله تعالى مَنْ قتل من صناديد قريش ، وأُسِر من اسر من اشرافهم»[٥] ، واسفرت المعركة عن مصرع «سبعين رجلاً من المشركين واسر سبعين منهم»[٦] .

وكان من جملة من وقع في الأسر منهم : ابو عزيز بن عمير ؛

---

(٤)سيرة ابن هشام : ١/١٤٠ .

(٥) سيرة ابن هشام : ٢/٢٨٠ .

(٦)طبقات ابن سعد : ٢/ق ١/١١ .

اخو مصعب ، أسره احد الانصار في ميدان الحرب وربط يده بيده ، فنادى مصعب صاحبه الانصاري وهو ممسك اخاه ابا عزيز : أحسِنْ شدَّ يديك به كيلا يفلت منك ؛ فان له أُمّاً موسرة ذات مال وثراء ؛ ولعلها تفديه منك بمال وفير ، فقال له اخوه ابو عزيز : يااخي هذه وصاتك بي ! ، فقال له مصعب : ان هذا الانصاري اخي دونك[٧] . يشير بذلك الى اخوَّة الدين التي تضاءل امامها ماسواها من الوشائج والروابط .

كما كان من جملة الاسرى ايضاً : النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار ارحام مصعب ، وقد أمر النبي (ص) بضرب عنقه جزاء ما كان فعله بالاسلام والمسلمين في مكة ، فلم يجد النضر بُدّاً من الاستنجاد بمصعب ، فلما رآه قال له مسترحماً : «يامصعب ؛ انت اقرب مَنْ هاهنا اليَّ وأمسُّهم رحماً بي ، فكلِّمْ صاحبك في ان يجعلني كرجلٍ من اصحابي . فقال له : انك كنت تقول كذا وتفعل كذا . فقال : يامصعب ؛ ليس هذا بحين عتاب ، فسله ان يجعلني كرجلٍ من اصحابي ، فلو أسَرَتْك قريش لدافعتُ عنك . فقال مصعب : انت صادق ، ولست مثلك ، ان الاسلام قد قطع العهود بيننا وبينكم»[٨] .

وهكذا انتهت المعركة بالفوز المبين للمسلمين ، وعاد موكب النصر الى المدينة يتقدمه رسول الله (ص) مظلَّلاً بلواء الحق المرفرف بيد مصعب ، كما عاد موكب الحقد والهزيمة الى مكة يلعق جراحه ويندب حظه .

* * *

(٧) سيرة ابن هشام : ٢/٢٩٩ – ٣٠٠ وانساب الاشراف : ١/٣٠٢ وتاريخ الطبري : ٢/٤٦٠ .

(٨) انساب الاشراف : ١/١٤٣ .

ولم تستطع وقعة بدر – برغم نتائجها المذهلة – ان تحسم الصراع بين الحق والباطل ؛ لأنه سنة الحياة .

وبدأ الشرك يجمع اشتاته ليعاود الكرَّة من جديد .

وتحمست قريش كل الحماس لهذه الجولة المرتقبة ، املاً في ادراك الثأر واستعادة الهيبة المحطمة ، واستنفرت كل اعوانها وانصارها وحلفائها وتابعيها داخل مكة وخارجها ؛ لضمان الغلبة والانتصار على المسلمين .

واقبل جمعهم يقطع البيداء حتى نزل على مشارف المدينة المنورة .

وعبأ النبي (ص) اصحابه ، وخرج بهم الى مقابلة القوم .

واعطى الرايات من اختاره لها ، فكان اللواء الاعظم لمصعب بن عمير اخي بني عبد الدار[٩] ، ولواء المهاجرين لعلي بن ابي طالب (ع) ، ولواء الاوس لأُسَيْد بن الحضير ، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر او سعد بن عبادة[١٠] .

وبدأت الحرب .

وقاتل مصعب في هذا اليوم قتال الأبطال ، وثبت باللواء ثبات الجبال ، وكان من القلة التي صمدت مع رسول الله (ص)[١١] عندما اشتد البأس ووقعت الواقعة . فكمن له ابن قمئة الليثي – وهو من فرسان المشركين – ينتظر اللحظة المناسبة ، فلما واتته الفرصة أهوى على يد

---

(٩) سيرة ابن هشام : ٧٠/٣ ونسب قريش : ٢٥٤ وطبقات ابن سعد : ٢/ق ٢٧/١ و ٢٨ و ٣/ق ٨٥/١ وأنساب الاشراف : ٥٥/١و ٣١٧ وتاريخ الطبري : ٥٠٨/٢ والاستيعاب : ٣ / ٤٥١ والتبيين : ٢١٣ واسد الغابة : ٤/ ٣٦٩ وشرح نهج البلاغة : ٢٣٥/١٤ .

(١٠)طبقات ابن سعد : ٢/ق ٢٧/١ .

(١١)سيرة ابن هشام : ٨٧/٣ وطبقات ابن سعد : ٣٠٢/٨ .

مصعب اليمنى بالسيف فقطعها ، فصاح مصعب : (وما محمدٌ الاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسُلُ) واخذ اللواء باليسرى وحنا عليه ، فضرب ابن قميئة اليسرى فقطعها ، فحنا على اللواء وضمَّه بعضديه الى صدره وهو يقول : (وما محمد الّا رسول قد خلت من قبله الرسل) ، ثم حمل عليه الليثي الثالثة بالرمح فأنفذه فيه ، فوقع مصعب ، وتناول عليٌّ (ع) اللواء من يده بأمر النبي (ص)[١٢] حفاظا على كرامة الجيش ورمز صموده .

ولفظ مصعب انفاسه الأخيرة على صعيد الشهادة في أُحدٍ ، فذهب الى عالم الخلود الأبدي مضمَّخا بأريج دمه المندّى الزكيِّ ، وصعدت روحه الطاهرة الى بارئها لتنعم بروحه وريحانه ؛ ورحمته ورضوانه ، ورجعت نفسه المطمئنة الى ربها راضية مرضية ؛ تعيش في رحاب الجنان (مع الذين أَنْعَمَ اللهُ عليهم من النبيِّن والصِّدِّيقين والشُّهداءِ والصّالحين ، وحَسُنَ اولئك رفيقا) .

* * *

واثارت شهادة مصعب ورفاقه الابطال في أُحد من الاصداء وردود الفعل لدى الطرفين المتحاربين، مادل اصدق دلالة على سمو مقام هؤلاء القادة وجلالة امرهم وضخامة دورهم الرائد في الزحف الاسلامي المقدس.

فعلى صعيد الشرك واتباعه كانت ردود الفعل تحكي اعتقادهم بان شهادة هؤلاء الصناديد قد سددت ضربة قاصمة لمحمد ودينه، واعادت

---

(١٢) سيرة ابن هشام : ٧٧/٣ وطبقات ابن سعد : ٣/ق ٨٥/١ وتاريخ الطبري : ٥١٦/٢ وشرح نهج البلاغة : ٢٤٧/٤ وسير اعلام النبلاء : ١٠٣/١ .

لهم كرامتهم الملطخة بوحل الهزيمة والفشل، واطفأت – من ثَمَّ – بعض سعار حقدهم وثأرهم لاشياخهم المجزَّرين في صحراء بدر. وفي ذلك يقول شيخهم ابو سفيان:

وسَلّى الذي قد كان في النفس أنَّني
قتلتُ من النجّار كلَّ نجيبِ
ومن هاشم قرماً كبيراً ومصعباً
وكان لدى الهيجاء غير هيوبِ
ولو انني لم اشفِ نفسيَ منهم
لكانت شجاً في القلب ذات ندوبِ[١٣]

ويقول آخر منهم وهو ضرار بن الخطاب من جملة قصيدة له:

فياليت عمراً واشياعه
وعُتبة في جمعنا السَّوْرَجِ
فيشفوا النفوس بأوتارها
بقتلى اصيبت من الخزرجِ .

الى ان يقول:

وحيث انثنى مصعب ثاويا
بضربة ذي هبَّةٍ سَلْجَجِ[١٤]

---

(١٣) سيرة ابن هشام : ٨٠/٣ .

(١٤) سيرة ابن هشام : ١٤٧/٣ .

ويقول ضرار ايضاً في قصيدة اخرى:

فـغـودرتْ منهـم قـتلى مجدَّلـةً
كـالمعـز أصردهُ بـالصردح الـبَـرَدُ
قتلى كـرام بنو الـنجار وسطهم
ومصعب من قنانا حولـه قِصَدُ
وحـمـزة الـقـرم مصروع تـطيف به
ثكلى وقد حُزَّ منه الانف والكبدُ[١٥]

وعلى صعيد الايمان وانصاره كانت الاصداء تمثل عمق اسى المسلمين وبالغ حزنهم وألَمِهم على رفاقهم، وقد عبَّر النبي (ص) عن ذلك أبلغ تعبير ؛ لّما جاء بعد المعركة الى حيث سقط مصعب بن عمير، فوقف عليه «وهو منجعفٌ على وجهه، فقرأ هذه الآية: (من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهَدُوا الله عليه) الى آخرها، ثم قال: «انَّ رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة».

ثم أقبل على الناس فقال:
«أيها الناس، زوروهم وأْتُوهم وسلِّموا عليهم، فو الذي نفسي بيده لايُسلِّم عليهم مُسَلِّمٌ الى يوم القيامة إلاّ ردُّوا عليه السلام»[١٦].
ثم قال مخاطباً مصعباً نفسَه وهو مُسجّى أمامه ملفوف في بردة:

---

(١٥) سيرة ابن هشام: ١٧٣/٣.

(١٦) طبقات ابن سعد: ٣/ق ١/ ٨٥ وحلية الاولياء: ١٠٨/١ واسد الغابة: ٣٧٠/٤ وشرح نهج البلاغة: ٤٠/١٥.

«لقد رأيتُك بمكة وما بها أحدٌ أرقّ حُلّةً ولا أحسن لمة منك ، ثُمَّ أنت شعث الرأسِ في بردة»[17] .
«ثم أمَرَ به فقُبِر»[18] .

* * *

وجاءت الأجيال الاسلامية بعد ذلك ؛ فوقفت امام هؤلاء الأفذاذ مزهوَّة مبهورة ، تتصفح تاريخهم النضالي المشرق بفخر واعتزاز ، وتروي الأحاديث النبوية الشريفة فيهم باحترام وتقدير ، فرأتْ استحباب زيارتهم ؛ واتيان مقابرهم ؛ والسلام عليهم ، تحقيقاً لرغبة رسول الله (ص) واستجابة لطلبه . وقد ذكر الفقيه الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ألفاظاً خاصة بهذه الزيارة نثبتها فيما يأتي ، لما فيها من مزيد تعريفٍ بهؤلاء الشهداء السعداء الأحياء عند الله ، قال :

«تأتي قبور الشهداء بأُحد – رضوان الله عليهم اجمعين – فتزورهم فتقول :

السلام على رسول الله ، السلام على نبي الله ، السلام على محمد بن عبد الله ، السلام على أهل بيته الطاهرين . السلام عليكم أيها الشهداء المؤمنون ، السلام عليكم ياأهل بيت الايمان والتوحيد ، السلام عليكم ياأنصار دين الله وأنصار رسوله ، سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

---

(١٧) و (١٨) طبقات ابن سعد : ٣/ق ١ /٨٦ وانساب الاشراف : ١ /٣٣٦ وشرح نهج البلاغة : ١٥/ ٣٩ .

أشهدُ أن الله اختاركم لدينه ، واصطفاكم لرسوله. وأشهد أنكم قد جاهدتم في الله حقَّ جهاده ، وذببتم عن دين الله وعن نبيه ، وجُدْتم بأنفسكم دونه . وأشهد أنكم قُتِلْتُم على منهاج رسول الله ، فجزاكم الله عن نبيِّه وعن الاسلام وأهله أفضل الجزاء ، وعَرَّفَنا وجوهَكم في محل رضوانه وموضع إكرامه ، مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين ؛ وحسن اولئك رفيقا .

أشهد أنكم حزب الله ، وأنَّ مَنْ حاربكم فقد حارب الله ، وأنكم لَمِن المُقَرَّبين الفائزين الذين هم أحياء عند ربهم يُرزَقون ، فعلى مَنْ قتلكم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

أتيتكم ياأهل التوحيد زائراً ، وبحقكم عارفاً ، وبزيارتكم الى الله متقربا ، وبما سبق لكم من شريف الأعمال ومرضيِّ الأفعال عالماً ، فعليكم سلام الله ورحمته وبركاته .

اللهم انفعني بزيارتهم ، وثَبِّتْني على قصدهم ، وتوفَّني على ماتوفَّيْتَهم عليه ، واجمع بيني وبينهم في مستقرِّ دار رحمتك . أشهد أنكم لنا فرط ، ونحن بكم لاحقون» (١٩) .



---

(١٩) بحار الانوار : ١٠٠/٢٢١ - ٢٢٢ .

وبعد :

فليس لدينا مانقوله في الختام – وقد عرضنا هذه الصفحات المشرقة من تاريخ مصعبٍ البطل الشهيد – الاّ أن نتلو خاشعين متدبِّرين ؛ تلك الآية الكريمة التي بدأْنا بها هذا البحث ، وهي قوله تعالى عزَّ من قائل :

(منَ المؤمِنينَ رجالٌ صَدَقوا ماعاهَدُوا الله عليه ، فمنهم مَنْ قَضى نَحْبَه ، ومنهم مَنْ يَنْتَظِرُ، وما بَدَّلُوا تَبْديلا) .

وسلام الله الأسنى ، وتحياته الحسنى ، على مصعب يوم وُلِدَ ، ويومَ أسْلَمَ ، ويوم هاجر الى الله معلِّماً ومُقرئاً للقرآن ، ويوم جاهد حتى استشهد في سبيل الله ، ويوم يبعث حيّا .



المصادر

الاستيعاب / لابن عبد البر – هامش الاصابة – القاهرة : ١٣٥٨هـ

اسد الغابة / لابن الأثير القاهرة : ١٢٨٥هـ

الاصابة / لابن حجر القاهرة : ١٣٥٨هـ

أنساب الأشراف / للبلاذري «الجزء الأول» القاهرة : ١٩٥٩م

بحار الأنوار / للمجلسي «الجزء ١٠٠» طهران : ١٣٨٨هـ

تاريخ الطبري القاهرة : ١٩٦٣م

التبيين / لابن قدامة المقدسي الموصل : ١٤٠٢هـ

جمهرة أنساب العرب / لابن حزم القاهرة ١٣٨٢هـ

حلية الأولياء / لأبي نعيم بيروت : ١٣٨٧هـ

سير أعلام النبلاء / للذهبي القاهرة : ١٩٥٦م

سيرة / ابن هشام بيروت : ١٣٩١هـ

شرح نهج البلاغة / لابن ابي الحديد القاهرة ١٣٧٨هـ

الطبقات الكبرى / لابن سعد ليدن : ١٩١٨م

العباب الزاخر / للحسن الصغاني «حرف الفاء» بغداد : ١٩٨١م

الفائق / للزمخشري – الطبعة الثانية . القاهرة : بلا تاريخ

المحبَّر / لمحمد بن حبيب الهند : ١٣٦١هـ

نسب قريش / للمصعب الزبيري القاهرة: ١٩٥٣م

فهرس مطالب الكتاب

رقم الايـداع في المكتبة الـوطنية ببغـداد ٧٧٧ لسنـة ١٩٨٧

مطبعة الديواني - بغداد
هاتف : ٨٨٧٦١٩٧